حول معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي

د. عبدالكريم خليفة
رئيس المجمع

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد دأب مجمعنا بالقاهرة على اختيار قضية أساسية من قضايا العربية في العصر الحديث، يجعلها في كل عام الموضوع الرئيسي للبحوث في مؤتمره السنوي. وبذلك استن سنة حميدة اذ يطرح للبحث والدراسة أمام المجمعيين وعلماء العربية، جوانب مهمة من قضايا العربية في العصر الحديث. وهي قضايا تمس جوهر وجود أمتنا ووحدتها وارتقاءها في سلم العلم والحضارة، والانتقال من حالة التبعية الفكرية الى حالة المشاركة الأصيلة المبدعة في العلوم والتقنيات الحديثة. وقد جاء موضوع البحث في «ألفاظ الحضارة في الوطن العربي» ليكمل الصورة الكلية لخدمة العربية والعناية بها في جوانبها المتعددة من حيث التعريب وجعل العربية لغة التدريس والبحث في الجامعات والمؤسسات العلمية، وكذلك من حيث الارتقاء بلغة وسائل الاتصالات الجماهيرية في الصحف والمجلات ودور الاذاعة المسموعة والمرئية، وكذلك الموضوعات التي تثار حول الصراع بين العاميات باتجاهاتها الاقليمية الضيقة وقدراتها الفكرية القاصرة، وبين اللغة الفصيحة، بقدراتها الفكرية المبدعة وباتجاهاتها الموحدة.

وان النظرة الشاملة للقضايا التي تواجهها العربية في العصر الحديث في مختلف اقطار العروبة لتؤكد وجود قضية أساسية تتمثل في ألفاظ الحضارة. وهذه القضية المهمة، وان بدت منفصلة الى حدّ ما عن اللغة الأدبية واللغة العلمية، فانها متصلة بهما أشد الاتصال، لأنها لغة الحياة العملية والتعامل اليومي.

ومن البدهي أن ننبه الى أن الحديث عن ألفاظ الحضارة سواء أكانت

(١) القي هذا البحث في المؤتمر السنوي الخامس والخمسين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وذلك يوم ١٩٨٩/٣/٢.

الـدارجـة منهـا أم المقترحة، لا يعني بالضرورة الحديث عن اللغة العامية أو اللهجات العامية. فالحديث عن العامية حديث عن هذه اللهجة من حيث نحوها وصرفها وأساليب التعبير بها، في حين أن الحديث عن ألفاظ الحضارة الـدارجـة او المقـترحة، هو حديث عن مفردات من حيث جرسها وايحاءاتها ودلالاتها وأصولها. . وقد تجد هذه المفردات طريقها الى اللغة الأدبية، كما تجد طريقها الى اللغة العلمية. وتجد طريقها الى اللغة الفصيحة، كما تجد طريقها الى اللغة العامية. وبما أن الألفاظ الحضارية متصلة أشد الاتصال بالحياة اليومية للناس في ظروفهم الحياتية ومعاملاتهم المعاشية، فانها تخالط العامية وتمازجها تمازجاً كلياً بحيث يصعب التفريق بينهما. وربما كانت مبادرة الجمهور بإحساسه اللغـوي وعفـويته في اطلاق هذه اللفظة أو تلك على ذلك المدلول، تصلح أساساً لتفسير هذه الظاهرة في اغناء اللغة المحكية من حيث الألفاظ الحضارية.

ونحن عندما نتحدث عن «الفاظ الحضارة»، فانما نعني بها جميع الألفاظ التي يستعملها الانسان العربي في حياته المعاشية من مأكل ومشرب وثياب وما يتعلق بها، ومن منـزل وأدوات منـزلية وأسماء الأمـاكن وما يتعلق بها، ومن المكاتب وأدواتها، والمركبات وما يتعلق بها، وكذلك مما يتعلق بالحِرف وأنواع المهن والصناعات وأدواتها والمواد المستخدمة فيها، فضلاً عن التربية الرياضية وغيرها من الألفاظ والمصطلحات التي تدخل لغة وسائل الاتصال الجماهيرية واليومية. . ولا شك ان هذه الألفـاظ الحضـارية، من حيث اتصالها بالحياة والاستعـمال اليومي، قد تتسـع في دوائرها حتى تتصل بمصطلحات الفنون الجميلة على مختلف انواعها ومذاهبها.

وربـما كان من المفيد أن نحـدد أن الفـاظ الحضـارة التي تعنينا في هذا البحث، هي الألفاظ التي تعبر عن ظروف الحياة ومستلزماتها المعاشية لجماهير أمتنا العربية في اقاليمها المختلفة. ومن هنا تنشأ الخصوصية التي تميز معجم ألفاظ الحضارة بالعربية عن غيره من المعاجم المتخصصة.

لقد أدّى تعثر الحياة العلمية وجمودها في أقطار العروبة منذ القرن السادس عشر الميلادي، ولاسيما في حقول العلوم الحديثة من تطبيقية وبحتة، الى توقف العـربية عن استيعاب المصطلحات العلمية. وعندما بدأت النهضة العلمية

الحديثة، ولاسيما منذ أوائل القرن العشرين، واجهت مؤسساتنا اللغوية والعلمية فراغا يكاد يكون تاماً فيما يتعلق بمصطلحات العلوم والفنون الحديثة باللغة العربية. وما ان بدأت بذور هذه النهضة العلمية في الوطن العربي حتى نشب الصراع بين أنصار العامية من جهة وانصار العربية الفصيحة من جهة أخرى. وكان يساير هذا التيار، ويجسد أهدافه العدائية صراع آخر، ما زال محتدماً، مع الأسف حتى يومنا هذا، بين انصار جعل العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة الانسانية، وبين القلة المتنفذة التي ما زالت تتشبث في ابعاد العربية عن أن تكون لغة الفكر العلمي العربي في مؤسساته العلمية وجامعاته الوطنية.

فإذا تجاوزنا هذه المرحلة من تاريخنا العلمي واللغوي، الى مرحلة سيادة العربية في أوطانها ومؤسساتها العلمية والجامعية، وهي بالغتها قريباً إن شاء الله ـ وجدنا أنفسنا أمام قضية جوهرية واحدة، وهي توحيد المصطلحات العلمية والحرص على ان تكون هنالك لغة علمية واحدة بالعربية.

فاذا كان هذا هو الحال، فيما يتعلق بالمعجمات العلمية العربية المتخصصة، فان الحال مختلف فيما يتعلق بمعجم «ألفاظ الحضارة». فألفاظ الحضارة مستمرة في حياة أمتنا في اقاليمها المختلفة عبر القرون باستمرار الحياة ذاتها والحاجة الى التعبير عن لوازمها. فنحن أمام سيل متصل من الفاظ الحضارة في مجتمعنا العربي في اقاليمه ومناطقه المختلفة، وفي مدنه وارياقه وباديه.. ولا شك ان الفاظ الحضارة هذه هي نتاج ظروف الأمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. فنحن في هذا المجال لا نواجه قضية الفراغ الذي واجهناه ونواجهه عند وضع المصطلحات العلمية، وانما نواجه قضية من نوع آخر. ولعل دراسة هذه القضية تؤدي بنا الى تحديد معالمها، من حيث أصول بعض هذه الالفاظ الحضارية ومنابعها الأولى سواء أكانت عربية صليبة أم معربة، وكذلك من حيث الشيوع وملاءمة رونق العربية وأساليبها، ومن حيث الذوق والخفة على السمع واللسان.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فان معجم الفاظ الحضارة باللغة العربية يواجه ايضا فراغا في بعض جوانب الحياة الحضارية الحديثة. ومن هنا فهو معجم دائم النمو، ومن الواجب ان

يتابع المتطلبات الحياتية للافراد والجماعات.

وقد أشار مجمعنا الكبير بالقاهرة الى عظم هذه المشكلة وأهميتها، وطرحها للبحث منذ وقت مبكر في أواسط هذا القرن. فقال الاستاذ الرئيس الدكتور ابراهيم مدكور في تصديره لمحاضر الدورة الثانية عشرة لعام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٦، وكان اذ ذاك أمينا عاما للمجمع: «الفاظ الحضارة ضرب آخر من المصطلحات اللغوية، وقد تكون معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، والاجماع عليها ليس بالأمر الهين، ولا بد أن نستعين عليها بشتى الوسائل».

أما ان معالجتها أعسر من معالجة المصطلح العلمي، وأن الاجماع عليها ليس بالأمر الهين، فهذا مما لا شك فيه، ولكننا نتساءل كيف أن أمة قد وحدت لغتها الأدبية وتحاول توحيد لغتها العلمية بتوحيد مصطلحاتها، ما زالت تغض النظر عن معالجة موضوع ألفاظ الحضارة وضعاً وتوحيداً على الرغم من الوسائل العلمية والتقنية التي تيسرها وسائل العلم والتقنيات الحديثة.. أليس من الواجب أن يكون هنالك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع ألفاظ الحضارة ويصلح أن يكون أساساً للغة حضارية واحدة بين جماهير الأمة العربية في مختلف أقطارها؟

ولكي نستوعب عظم هذه المشكلة ومدى أهميتها، جمعت عدداً من الألفاظ الحضارية في مدينة ما من المدن الأردنية، دون استقصاء أو محاولة اقامة دراسة جادة. فقد اكتفيت بنماذج عشوائية تشمل أسماء الأدوات المنزلية وأثاث المنازل والمكاتب والملابس وأدوات بعض المهن وأسماء المأكولات وغير ذلك من التعابير الحضارية..

حقاً، لقد هالني الأمر. فهنالك الاختلاف بين الألفاظ الحضارية بين مدينة وأخرى وبين منطقة وأخرى. وهذا الاختلاف قد يضيق ويتسع وفق ظروف معينة أو حسب تباعد المسافات. وهنالك الاختلاف الملحوظ بين كثير من الألفاظ الحضارية بين جيل وآخر. أما الألفاظ الحضارية الوافدة من البلاد الاجنبية، ولاسيما من الغرب، فقد وجدت طريقها بصورة عمياء الى الجماهير المستهلكة والى وسائل الاتصالات الجماهيرية من صحف ونشرات واعلام رسمي وشعبي.. وتعدى ذلك الى طغيان حضاري، يتمثل باشاعة الأسماء

الأجنبية واطلاقها على المحلات العامة من تجارية وصناعية . . ويبلغ هذا الطغيان مداه عندما نرى هذه الأسماء الأجنبية تكتب أيضاً بحروف عربية . فقد رأيت في احدى القرى الأردنية النائية، متجراً متواضعاً جداً كان أشبه بمدخل ضيق . . وكانت محتوياته من البضاعة المعروضة للبيع ليست بأحسن حال من مبناه، ويخيل الي أن صاحبه يستطيع القراءة والكتابة بصعوبة . . ومع ذلك فان المحل يحمل اسم «سوبر ماركت»!!! أما في شوارع العاصمة والمدن المهمة . . فحدث عن ذلك ولا حرج!

ونحن اذا تجاوزنا حدود قطرنا الى الأقطار العربية المجاورة والبعيدة، فان الأمر يصبح مذهلاً وخطيراً . فالاختلاف في الفاظ الحضارة، يجعلنا، مع الأسف، نقف أمام حاجز خطير يمنع تفاهم جماهير أمتنا بعمالها وفلاحيها، بعضهم مع بعض . . واذا كان المثقفون يجدون في اللغة الفصيحة المكتوبة او في اللغة المحكية القريبة منها، وسيلة للتفاهم، فانهم يصطدمون بعسر التفاهم، اذا تناولوا ألفاظ الحضارة بالاستعمال . . والأمثلة على ذلك كثيرة، سواء ما كان منها تراثياً شائع الاستعمال في أقطارنا العربية منذ ازمان قديمة، أم كان منها دخيلاً حديثاً حملته الحضارة المعاصرة الى شعوبنا صانعة او مستهلكة .

فهنالك مثلاً القمح والحنطة والبُرّ والغلّة وجميعها الفاظ تراثية، وغالباً ما تستعمل مترادفات في كل قطر.

ولنأخذ مثلاً كلمة «البطيخ» وكم تتعدد الاختلافات في مدلولاتها في مختلف الأقطار . . وقد يضطر الباحث مع الأسف الى ان يضع مقابلها اللفظة الأجنبية كي يحدد مدلولها . فهنالك «بطيخ أصفر في الشام، وشمام في الاردن وفلسطين، وشمام وبطيخ وقاوون في مصر هذا مع العلم ان كلمة «قاوون» تركية .وهكذا تتعدد الألفاظ لمسمى واحد . فهو: بطيخ أخضر وبطيخ أحمر وبطيخ شامي وبطيخ هندي، ودلاع وخِرْبز وحَبْحبْ، وجَبَس ورَقّي . حيث تسود كل لفظة في قطر من الأقطار أو في منطقة دون أخرى.

وقل مثل ذلك في كثير من أسماء الفواكه والاطعمة والمأكولات والأدوات المنزلية وغيرها من ألفاظ الحضارة . فالوعاء مثلاً الذي ينفض فيه رماد السجائر وتلقى فيه أعقابها يسمّى : متَكّة ومكَتّه ومِنْفضة وطَقْطوقه وسَنْدِريّه . .

الخ.

وفي أدوات الكتابة ذاتها ومستلزمات المكتب، اختلاف كبير في الألفاظ الدّالة عليها. . أما الأدوات الحديثة التي دخلت في الحرف والمهن والصناعات، فقد دخل معظمها بألفاظها الأعجمية، بعد أن اصابها التحريف العفوي، أو المبادرة المحلية بعيداً عن كل قاعدة أو قانون ينتظمها.

ومنذ مطلع هذا القرن، جرت محاولات ودراسات، كانت غايتها اغناء اللغة العربية بما يَجِدُّ من الفاظ الحضارة الحديثة. وكثيراً ما كان الأمر يغيم فتتداخل مصطلحات العلوم الحديثة بألفاظ الحضارة الحديثة، دون أن يفرد أيضاً موضع خاص بمصطلحات الفنون الحديثة مثل: التصوير والنحت والمرسومات والخزف والسينما والموسيقى. . الخ.

وكان لمجمعنا بدمشق ومجمعنا بالقاهرة فضل الريادة في إثارة هذا الموضوع الخطير. وقام مجمعنا بالقاهرة، منذ اوائل الأربعينيات بالبحث في الوسائل التي يمكن استخدامها من اجل تزويد اللغة العربية بمصطلحات الجديد في ميادين الحضارة الحديثة. . وان المناقشات والآراء المختلفة التي طرحت في ذلك الوقت، وحفظتها محاضر جلسات المجمع، تكوِّن مصدراً مهماً من أجل وضع الأسس العلمية التي يمكن ان تصلح منطلقاً منهجياً لمجامعنا اللغوية من خلال اتحاد المجامع، لوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

وما زالت مقولة المرحوم العالم المجمعي الاستاذ محمود تيمور، تكوِّن أساسا صالحاً تقوم عليه فلسفة هذا المعجم الحضاري، وتعطيه هويته العربية الجامعة، حيث يقول، رحمه الله، «إن السعي الى وضع مقابل صحيح لألفاظ الحضارة أو الحياة العامة ليس مقصوداً به فرض ذلك على أفواه العامة في البيوت والأسواق، ولكن المقصود به اسعاف الاقلام الكاتبة بما يسد حاجة التعبير من ألفاظ فصاحٍ لمسميات حضارية شاملة، وإشاعتها في الصحف السيارة والكتب المتداولة، واذاعتها في مجالات الاذاعة الفصيحة على اختلاف منابرها ومنصاتها في حياتنا التعليمية والاجتماعية في أرحب نطاق»[1].

(١) معجم الفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، تصدير الاستاذ بدر الدين ابو غازي، ص ز، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠.

ونحن الآن لا يدور في خلدنا أننا نهدف الى التغيير القسري لما يستعمله عامة الناس في كل قطر من الأقطار العربية، ولكن من الواجب، كما أشرنا سابقاً، ان يكون هناك معجم شامل باللغة العربية يستوعب جميع الفاظ الحضارة ومستلزمات الحياة الحديثة، يمكن ان يكون مرجعاً لِكُتَّاب العربية وأدبائها في العصر الحديث في مختلف الفنون الأدبية من قصة ورواية ومسرحية.. وغيرها، وفي جميع وسائل الاتصال الموجهة الى جماهير الأمة العربية.. ولا شك ان هذا الوضع سيؤدي الى اشاعة هذه الألفاظ، واحيائها بالاستعمال.. وبالتالي ستحل الألفاظ الحضارية الموحَّدة، محل تلك الألفاظ المحلية، بصورة طبيعية ودون عنت أو قسر، وان لغة الثقافة كفيلة بنشرها.. وهنالك أمثلة كثيرة يمكن الاستشهاد بها من حياتنا العملية. فنحن نعلم مثلاً ان هنالك كثيراً من الالفاظ المغرقة بعاميتها، محلياً أو قطرياً، قد اختفت من الاستعمال العام، وحلت محلّها الفاظ فصيحة أو أقرب الى الفصيحة، مما يخفّ وقعه على الأسماع ويسهل دورانه على الألسنة.. فلو أخذنا مثلاً لفظة «سيارة»، هذه اللفظة التراثية الجميلة، فانها قد باتت تسير على جميع الألسنة، دالة على هذه الآلة الحضارية الحديثة، في حين أننا لو رجعنا الى نصف قرن أو يزيد، لوجدنا الفاظاً كثيرة مختلفة للتعبير عنها في كل قطر من الأقطار العربية فهنالك «الأوتوبيس» و«الأوطمبيل» و«الطنمبيل» و«الكاره» و«الحنتور».. الخ، من الألفاظ الأعجمية والعامية الجلفة.. وقد حلّ محلها جميعا في الاستعمال الثقافي وبين عامة الناس أيضاً لفظة «السيارة». وقد نقلت من معنى تراثي معروف في اللغة الفصيحة الى معنى اصطلاحي يدل على هذه الآلة المحدّدة.. ولا أظن أن الذهن يتجه الى أي معنى آخر لهذه اللفظة في الوقت الحاضر بين عامة الناس والمثقفين.

وقد قام مجمعنا القاهري، بتأصيل هذا الاتجاه، بنشره ما وضعته لجنة ألفاظ الحضارة وخبراؤها، وأطْلقَ عليه تفاؤلاً اسم «معجم الفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون».

وجاء تصدير الزميل الأستاذ بدر الدين ابو غازي ـ رحمه الله ـ على ايجازه شاملاً وعميقاً في عرضه لموضوع «الألفاظ الحضارية».

وهنالك محاولات أخرى في هذا المجال، كان لمجمعنا بدمشق مشاركة مهمة فيها. . ومنذ حوالي عقدين من الزمن نشر الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله في مجلة اللسان العربي، التي تصدر عن مكتب تنسيق التعريب في الرباط، سلسلة من معاجم المهن مثل «الخبازة والنجارة، والحدادة. . الخ.

وقد قامت مؤسسة «دار لسان العرب، ببيروت» بنشر مجلّد خاص الحقته بمجلدات معجم لسان العرب، تحت عنوان «معجم المصطلحات العلمية والفنية» (عربي - فرنسي - انجليزي - لاتيني)، قام باعداده وتصنيفه الأستاذ يوسف خياط. وقد سار على نهج ابن منظور في محاولته جمع المصطلحات العلمية والفنية الواردة في عدد من المصادر المجمعية والجامعية وعند بعض المؤلفين، ثم تصنيف هذه المصطلحات. وقد تداخلت فيه بعض الألفاظ الحضارية مع المصطلحات العلمية، وليس من شأننا في هذه الكلمة أن نعرض لموضوع المصطلحات العلمية، التي كان فيها لمجامعنا اللغوية ومؤتمرات التعريب جهود مشكورة خيرة.

أيها السادة العلماء، فهذه كلمة عامة وعرض سريع، لقضية مهمة من قضايا العربية التي تواجهها في أواخر القرن العشرين. وان مجامعنا اللغوية ومؤسساتنا العلمية، لمدعوة، بحكم واجبها أن تتصدى لجميع هذه المشكلات والقضايا التي ما زالت تقف عائقاً بين لغتنا العريقة في تاريخها العلمي والحضاري والفكري، وبين استيعابها جميع معارف الحضارة الانسانية الحديثة. وان موضوع «معجم موحّد لألفاظ الحضارة» ليندرج في هذا السياق، من أجل وحدة الأمة، وفسح المجال الرحب أمامها من أجل بناء نهضتها العلمية والأدبية والفكرية، والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة الحديثة.

ونحن نعتقد أنه قد آن الأوان، كي تقوم مجامعنا اللغوية العربية، ومن خلال اتحاد المجامع، بالعمل على انشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية، حيث تستغل امكانات الأمة العلمية والمادية من اجل وضع المعاجم المتخصصة في مختلف العلوم والفنون. والمعجم الحضاري والمعجم التاريخي للغة العربية يمثلان الأمل الكبير الذي طالما تطلعت اليه أمتنا في مختلف مؤسساتها العلمية. أما ما يخص المعجم الموحد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي «فنحن نعتقد أنه

من الضروري أن توضع خطة علمية شاملة على مستوى الوطن العربي. فنجمع جمع استقصاء كل الفاظ الحضارة التي تستخدم في جميع الأقطار العربية، سواء منها ما كان من ألفاظ المؤسسات العلمية، أو ما كان من الفاظ السوق، أو الأسماء التي يطلقها أصحاب الصنعة على آلاتهم وأدواتهم. . الخ، وان تضبط هذه الألفاظ ضبطاً كاملاً وتشرح شرحاً واضحاً، وقد يستعان بالرسم عند الحاجة.

ولا بد من استخدام الحاسوب والتقنيات الحديثة في مثل هذه الأعمال اللغوية الجليلة. فتُخزن جميع هذه الألفاظ، مع الضبط والشرح والجهة التي تشيع فيها. وان يكون هذا كله أحد المصادر التي يستعان بها الى جانب المعاجم القديمة والحديثة، العربية منها والأجنبية، ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن الاجتهاد في الوضع والنقل والاشتقاق والنحت وغير ذلك من أساليب العربية، يجب أن تكون الفلسفة التي تنزع عنها هذه المؤسسة في اصدار المعجم الموحَّد لألفاظ الحضارة في الوطن العربي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ،